

الإنجيل لوقا ٥ : ١-١١

بسم الآب و الابن والروح القدس، الإله الواحد . آمين

يا أحبباء، المقطع الإنجيلي الذي سمعناه اليوم يذكرنا بهذا الحدث الذي تم.

الرب يسوع أتى إلى بحيرة جنيسارت، كان هناك سفينتان، والصيادون تعبوا الليل كله ولم يصطادوا شيئاً، كانوا راجعين إلى الشاطئ يغسلون شباكهم التي كانت فارغة. أتى الرب يسوع وطلب من سمعان - لأنه كانت إحدى السفينتين لسمعان بطرس - أن يركبوا السفينة من جديد، وهناك جلس يعلم الجموع وهم في السفينة. قال له سمعان: يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نصطد شيئاً فكيف تقول لنا من جديد عودوا فألقوا شباككم؟ ولكنه يضيف ويقول " ولكن بكلمتك ألقى الشبكة " ويقول: فلما فعلوا ذلك اصطادوا سمكاً كثيراً حتى تخزقت الشباك وطلبوا من الصيادين شركائهم أن يأتوا ويساعدوهم لأنهم اصطادوا سمكاً كثيراً وملأوا السفينتين حتى كادتتا تغرقان، وعند ذلك خر سمعان على ركبتيه أمام قدمي يسوع وقال له: " اخرج عني يارب فإني رجل خاطيء " لأنه انذهل وتعجب هو والذين كانوا معه.

هذه الحادثة يمكن أن تعلمنا أشياء كثيرة، وأحد هذه الأمور التي نستطيع تذكرها اليوم هذه الكلمة الأولى التي قالها سمعان للسيد "يا معلم لقد تعبنا الليل كله ولم نصب شيئاً".

نعم يا أحبباء، هذه قصة كل إنسان، هذه قصة كل عائلة، هذه قصة كل نفس بشرية، كل واحد منا يركض ويشقى ويجاهد ويتعب و.....، تعبنا الليل كله وللأسف في بعض الأحيان نقول نفس الكلمة التي قالها بطرس ولكن الرب يسوع الذي هو مصدر كل خير، بل هو الخير، يترأى لهذا الإنسان ويظهر له ويقول: " ادخل إلى العمق وارمي الشبكة".

وهنا ماذا يكون موقف الإنسان، وهنا ماذا يكون جوابه لهذا الإنسان الذي تعب الليل كله والذي تعب الحياة كلها، وبقيت يديه فارغتين. ماذا يقول لهذا السيد الذي يظهر له من جديد؟

أول شيء: هل يذهب إلى العمق؟! أين العمق في بحر هذه الحياة التي نجاهد فيها؟ هذا العمق يا أحبباء هو القلب "اذهب إلى العمق". كان على السفينة أن تقطع مسافة أكبر حتى تصبح في المسافة العميقة من المياه، ولكنه في أيامنا، في حياتنا، يعني أن يذهب إلى العمق أي أن يغوص الإنسان أو الواحد منا في أعماق قلبه، في كيانه. وهناك يرى الله ويرى أيضاً يد الله تمس أنذاك قلبه وأعماقه في ذات العمق.

وإذا قال كما قال بطرس " يارب بكلمتك ألقى الشبكة " فإن الدنيا كلها تتغير لأنه لا يكون هناك نتيجة ويصبح هناك نتيجة، لأنه لا يكون هناك صيد ويصبح هناك صيد وفير، لأنه لا يكون هناك ثمر ويصبح هناك ثمر كثير، لأنه آنذاك عندما تلقي الشبكة بكلمة الرب، نعمة الرب هي التي تفعل وعطية الرب تكون غزيرة ووافرة كما حدث مع بطرس ورفقائه، فقد اصطادوا سمكاً كثيراً حتى تخزقت الشباك واستدعوا أيضاً زملائهم حتى يساعدهم وامتألت السفينتان.

جميل هذا التعبير، يقول: "وكادتتا تغرقان"، الله أعطاهم من الخيرات لدرجة أنهم لم يستطيعوا أن يحملوها كادوا أن يغرقوا على قدر ما أعطاهم الله من خيرات.

نعم يا أحبائه، هكذا كل واحد منا في حياته، في جهاده الروحي، في حياته مع الرب، في مسيرته نحو القداسة. الإنسان عندما يجاهد، عندما يركض، إن كان روحياً وإن لم يكن روحياً حتى في حياته العادية والدينية عندما ينسى وجه الرب، عندما يعتقد أنه هو الألف والياء، عندما يظن أنه هو الذي يقوم بكل ما يقوم به، قد تأتي لحظة قد يخسر فيها كل شيء أو لا يربح أي شيء أو إن ربح فقد يخسر كل شيء ولكن إذا تذكر دوماً بأنه يقوم بكل ما يقوم به من أمور مادية ومن أمور روحية "أن أي فعل يقوم به بكلمة الرب"، أنذاك يتبارك هذا الفعل، يتبارك هذا العمل، يتحول كل شيء، يتقدس كل شيء، يتجلى كل شيء، تختلط الأرضيات بالسماويات والسماويات بالأرضيات، الأرض ترتفع نحو السماء أو السماء تنزل نحو الأرض، لا نعرف! ولكن نعرف أمراً واحداً ومتأكدين منه، أن الرب يبارك أعمالنا وجهادنا، فنكون عطية الرب فاعلة فينا ونعمته غزيرة في قلوبنا، فنصطاد سمكاً كثيراً ويرى الناس هذا ويمجدون أبانا الذي في السماوات.

النتيجة جميلة يا أحبائه: هي أنه عندما اصطاد بطرس ورفاقه هذا السمك الكثير يقول: "خرّ عند ركبتي يسوع". النتيجة كانت أنه عندما اغتنى بطرس وعندما اصطاد هذا السمك الكثير لم يدر ظهره بل أتى لعند قدمي يسوع وخرّ على ركبتيه أمام قدمي يسوع وقال: "يارب إني رجل خاطيء".

نعم هذا هو السر، يكتشف أنذاك الواحد منا عظمة الرب وفعل قوته، ويشعر أنذاك كم هو صغير، كم هو ضعيف، فتكون هناك صرخة واحدة في فمه وأحلى صرخة في قلبه، يقول: "يارب إني رجل خاطيء"، ولهذا قال الرب ليوحنا ولابني زبدي في نهاية المقطع الإنجيلي الذي سمعناه: "من الآن أجعلكم صيادي للبشر". فلما بلغوا بالسفينة إلى الشاطئ يقول: "تركوا كل شيء وتبعوا السيد الذي أهدق عليهم بعطيته الكثيرة، تغيرت كل حياتهم، وخرّوا أمام هذا السيد الحبيب وأرادوا أن يتبعوه وتكون كل حياته لهذا السيد.

هذا يذكرنا يا أحبائه، كما ذكرت في بداية الكلمة، بأن كل واحد منا في حياته، في بيته، في عائلته، في حياته الفردية كشخص، في علاقته مع أفراد عائلته كعائلة، في قراءتنا للكتاب المقدس، في أعمالنا اليومية... نحن نجاهد.

الإنسان أحياناً كثيرة يتخبط، يتألم، ويواجه الضيقات، يواجه أمراض، يواجه أحزان..... ولكن دعونا نتذكر بأنه وسط كل هذه الآلام ووسط كل هذه الظلمة التي قد تبدو لنا ظلمة في أحيان معينة، وتكون قاسية في أحيان كثيرة. إذا تذكرنا أن هناك السيد، وإذا تذكرنا وقلنا "نحن بكلمتك نقل الشبكة" في كل الأعمال التي نقوم بها، الحياتية والروحية، في بيوتنا وأعمالنا، في كنائسنا، في كل أمر نقوم به، أنذاك فإن كلمة الرب تقدس كل شيء وتبارك كل شيء، وأول شيء هو أننا نحن نتبارك، ونحن نتقدس، فتتجلى المسكونة بأسرها ويتقدس كل واحد منا. وأنذاك يحصل كل واحد منا على عطية الرب كما حصل لبطرس والذين كانوا معه، ويتقدس الإنسان ويكون فعلاً في العمق.

وهناك يلقي وجه الحبيب وتلمسه يد الحبيب، فيكون في المحبة، يكون في أحضان الله، يكون فيه سلام الله، يقول في الإنجيل "سلامي أعطيكم".

ونحن بالطلبة في القداس الإلهي نقول "من أجل السلام الذي من العلى"

وأيضاً "سلامي أعطيكُم" "وسلامي ليس من هذا العالم"، أنذاك يد الرب في ذلك العمق، في كيان الإنسان وفي قلب الإنسان، يد الله تمس قلبه وعمقه فيكون فيه ذلك السلام ولو كان العالم كله يتخبط ولكن في قلبه ذلك السلام الذي هو من العلى، سلام الرب الذي أسأل أن يكون فينا أجمعين.
بشفاعات العذراء مريم وجميع القديسين . آمين.